رسالة

في مسائل الخلوات

على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه

جمع

العلامة الشيخ محمد بن عبد الله الشهير بالخراشي

المتوفى سنة ١١٠١ هـ

تعليق
كمال يوسف الحوت
أمين قسم المخطوطات
بمركز الخدمات والأبحاث الثقافية



المقدمة

الحمد لله العلي العظيم ، الرؤوف الرحيم ، أحمده على إنعامه العميم ، وأشكره على إحسانه الجسيم ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ما أقبل النهار وأدبر الليل .

وبعد فإني وقفت على هذه الرسالة المُفيدة المسماة « برسالة في مسائل الخلوات على مذهب الإمام مالك » للعلامة الخرشي المالكي فوجدتها عظيمة النفع ، فأحببت أن أنشرها لتعم الفائدة وخصوصاً للحاجة في وقتنا هذا إلى مثل هذه الرسالة ، وسأتبعها إن شاء الله برسالة أخرى في نفس الموضوع للشيخ أحمد الغرقاوي الفيومي المالكي المتوفى سنة ١١٠١ هـ . فالله أرجو الثواب والأجر .

ترجمة المؤلف(١)

ـ هو العلامة الإمام والقدوة الهمام شيخ المالكية شرقاً وغرباً قدوة السالكين عجماً وعرباً مربي المريدين كهف السالكين سيدي أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن علي الخرشي الشهير نسبه ونسب عصبته بأولاد صباح الخير ، إنتهت إليه الرياسة في مصر حتى أنه لم يبق في مصر أواخر عمره إلا طلبته وطلبة طلبته ، كان إماماً في العلوم والمعارف متواضعاً عفيفاً لا يكاد جليسه يمل من مجالسته ، إنتهت إليه الرياسة في العلم ووقف الناس عند فتاويه ، وكان متقشفاً في مأكله وملبسه ومفرشه وكان لا يصلي الصبح صيفاً وشتاءً إلا بالجامع الأزهر ، وكان خلقه واسعاً ، إذا تجادل عنده الطلبة يشتغل هو بالذكر حتى يفرغ جدالهم ، وكان يقضي بعض مصالحه بيده من السوق ويحملها ويتعاطى مصالح بيته في منزله أيضاً ، وكان كثير الأدب والحياء كريم النفس جميل المعاشرة حلو الكلام ، وكان كثير الشفاعات عند الأمراء وغيرهم وكانوا يهابونه ويجلونه ويقبلون شفاعته ، وكان مهيب المنظر عليه خفر العلماء العاملين والأولياء والصالحين وكان دائم الطهارة كثير الصمت زاهداً ورعاً كثير الصيام طويل القيام ، وكان له تهجد عظيم في الليل وكان نهاره كله في طاعة إما في علم أو قراءة قرآن أو ورد . يقول من عاشره : ما ضبطنا عليه قط ساعة هو فيها غافل عن مصالح دنياه أو آخرته ، وكان يتعمم بشملة بيضاء صوف إذا دخل منزله وله سبحة ألف حبة ، وكانت ثيابه قصيرة على السنة المحمدية وكان كثير الذكر لله تعالى لا يكاد يغفل عن قول لا إله إلا الله في حال درسه وفي حال عمله وكان لا يسمع منه قط مذاكرة أحد بسوء وكان النور يخفق على وجهه يدركه كل المؤمنين وكانت الأمراء والأكابر يعتقدونه اعتقاداً تاماً ، وكان إذا ركب حمارته ومر في السوق يقتتل الناس

---

(١) هذه ترجمة الشيخ علي بن أحمد الصعيدي العدوي المالكي للمؤلف مأخوذة من حاشية العدوي على شرح الخرشي على خليل .

عليه لأجل التبرك به وتقبيل يده ومن لا يصل إلى يده يتمسح بظهر الشيخ ويمسح بها وجهه وكان قد اشتهر في أقطار الأرض كالغرب وبلاد التكرور والشام والحجاز والروم واليمن وصاروا يضربون به المثل وأذعن له علماء مصر الخاص منهم والعام ، وكان دائم الطهارة لا يحدث إلا ويتوضأ هكذا قال أصحابه .

وكان لا يذكر أحداً بغيبة ولا يحسد أحداً من أقرانه على ما آتاه الله من علم أو جاه أو إقبال من الناس بل يقول لولا أنه يستحق ما أعطاه الله تعالى ، وما كان قط يزاحم على شيء من الدنيا ولا يتردد إلى أحد من الولاة إلا لضرورة شرعية من شفاعة لمظلوم ونحو ذلك وكان إذا حضر إليه جماعة ممن يحسدونه يجلهم ويكرمهم في غيبتهم وحضورهم ولا يؤاخذ أحداً منهم على ما وقع منه في حقه بل هو كثير احتمال الأذى بطيبة نفس ، وكان يعير من كتبه ومن خزانته الوقف الكتب الغريبة العزيزة للطالب بحيث لا يفتش بعد ذلك عنها كائناً ما كان من جميع الفنون فضاع له بذلك جملة من الكتب وكان يعطي من الكتاب بالكبشة من غير عدد أوراق ، وكان يأتيه الطالب ببراءة فيها إسم كتاب يطلبه فيخرجه من الخزانة فيعطي له منه من غير معرفة اسمه واسم أبيه أو بلده فيقيد بعدما يتوجه من عنده أخذ من الكتاب الفلاني الرجل الطويل أو القصير أو لحيته كبيرة أو صغيرة أو أبيض أو أسود أو نحو ذلك وكان منه في ذلك العجب العجاب إيثاراً لوجهه تعالى وكان لا يأنف في درسه وخارجه من مبتدىء ولا بليد أفنى فيه عمره مع تثبته لحوائج العامة والأرملة ، وكان إذا أتى إليه طفل يشكو إليه توجه معه إلى مطلوبه فيقضي حاجته. لازم القراءة سيما بعد شيخه البرهان القاني وأبي الضياء علي الأجهوري . كان يقرأ من صلاة الإمام الحنفي في مجلسه بمدرسة الابتغاوية إلى الضحى الكبيرة قراءة تحقيق وتدقيق ثم يقوم يصلي الضحى ويتوجه إلى بيته وربما مشى بعد لشفاعة في أمر الناس أو يصلح بين الناس ثم يرجع إلى المسجد يصلي الظهر بمجلسه بالابتغاوية ثم يأتي إلى

الدرس بجوار المنبر بالمقصورة فيقرأ درسه من مختصر خليل ثم يتوجه إلى مجلسه المذكور أو إلى بيته . وكان يقسم متن خليل نصفين نصف يقرؤه في مجلسه بالابتغاوية ونصف يقرؤه بعد الظهر عند المنبر وكان يمازح الطلبة في درسه ويقول لهم: أنتم جهلاء ولا يعقلها إلا العالمون، ويقول لهم: إنما أقول لكم ذلك لأجل أن تبذلوا هممكم لطلب العلم ومطالعته وكان في درسه إذا قرأ شرحه الصغير بحضرة الطلبة يقول لهم هذا شرح نفيس ما أحسنه، لازمته ما ينوف عن عشرين سنة في درسه بالمقصورة وخارج الدرس فما أظن أن كاتب الشمال كتب عليه شيئاً وإن وقع أنه عرّض لأحد على وجه التنفير فذلك من باب النصح للأمة لا لحظ نفسه . وقد كان الإمام البخاري يجرح الرواة كثيراً ويقول أرجو من فضل الله أن لا يطالبني يوم القيامة بغيبة في أحد انتهى . وذلك أنه قصد بالتجريح نصرة الدين لا التشفي بذلك للنفس كما ذكره العارف بالله سيدي عبد الوهاب الشعراني .

كان عالماً بالنحو والتصريف فرضياً حسابياً محققاً لها ، له الإمامة المطلقة في ذلك جامعاً لسائر الفنون وبالجملة فهو آخر الأئمة المتصرفين التصرف التام بمصر المحروسة وآخر أئمة المالكية . وكان له في منزله خلوة يتعبد فيها وكان يقرأ بعد الظهر عقب درس المختصر إذا اتسع الوقت درساً في النحو أو التوحيد أو الفرائض أو الحساب ، وكان يأتيه الهدايا والنذور من أقصى المغرب وبلاد التكرور وجميع البلاد فلم يمسك منها شيئاً بل كان أقاربه ومعارفه يتصرفون فيها ، ولو لم يكن من الكرامات إلا إقبال الناس عليه من سائر الأقطار وعلى كتابة مؤلفاته ومطالعتها لكان في ذلك كفاية .

أخذ العلوم عن عدة من العلماء الأعلام منهم العلامة خاتمة الفقهاء أبو الإرشاد على الأجهوري ، والعلامة خاتمة المحدّثين الشيخ إبراهيم اللقاني ، والفقيه الشيخ يوسف الفيشي ، والمحقق الشيخ عبد المعطي البصير ، والعلامة الشيخ حسين النماوي ، والشيخ العلامة المحقق ياسين الشامي ، ووالده الشيخ عبد الله الخرشي .

تخرج به جماعة حتى وصل ملازموه المجدون عليه نحو مائة منهم العارف بالله تعالى الشيخ أحمد اللقاني ، والشيخ الفاضل سيدي محمد الزرقاني ، والشيخ الفقيه علي اللقاني ، والشيخ العمدة شمس الدين اللقاني ، وأخوه الشيخ داود اللقاني ، والشيخ الفقيه محمد النفراوي ، وأخوه الشيخ أحمد ، والشيخ أحمد الشبراخيتي ، والشيخ أحمد الفيومي ، والشيخ إبراهيم الفيومي ، والشيخ أحمد الشرفي ، والشيخ عبد الباقي القليني ، والشيخ عيد ، والشيخ العلامة علي المجدولي ، وغالب علماء العصر من المذاهب الأربع في حال قراءته بعد ختم المختصر في شرح البخاري للعلامة القسطلاني .

مات في صبيحة يوم الأحد سابع عشرى شهر ذي الحجة ختام سنة واحد ومائة وألف ودفن مع والده بقرب مدفن الشيخ العارف بالله تعالى محمد البنوفري بوسط تربة المجاورين وقبره مشهور وما رأيت في عمري كله أكثر خلقاً من جنازته إلا جنازة الشيخ سلطان المزاحي والشيخ محمد البابلي اهـ.

له مؤلفات عديدة منها :

١ ـ الشرح الكبير على مختصر خليل طبع .
٢ ـ منتهى الرغبة في حل ألفاظ النخبة . مخطوط في الخزانة التيمورية .
٣ ـ الشرح الصغير على مختصر خليل ، مخطوط .
٤ ـ الفرائد السنية شرح المقدمة السنوسية في التوحيد ، مخطوط .
٥ ـ رسالة في الخلوات وهو هذا الكتاب الذي بين أيدينا(*) .

(*) راجع ترجمته في :
١ ـ سلك الدرر ٣/٦٢ ـ ٦٣ .
٢ ـ معجم المؤلفين ١٠/٢١٠ .
٣ ـ الاعلام ٦/٢٤٠ ـ ٢٤١ .

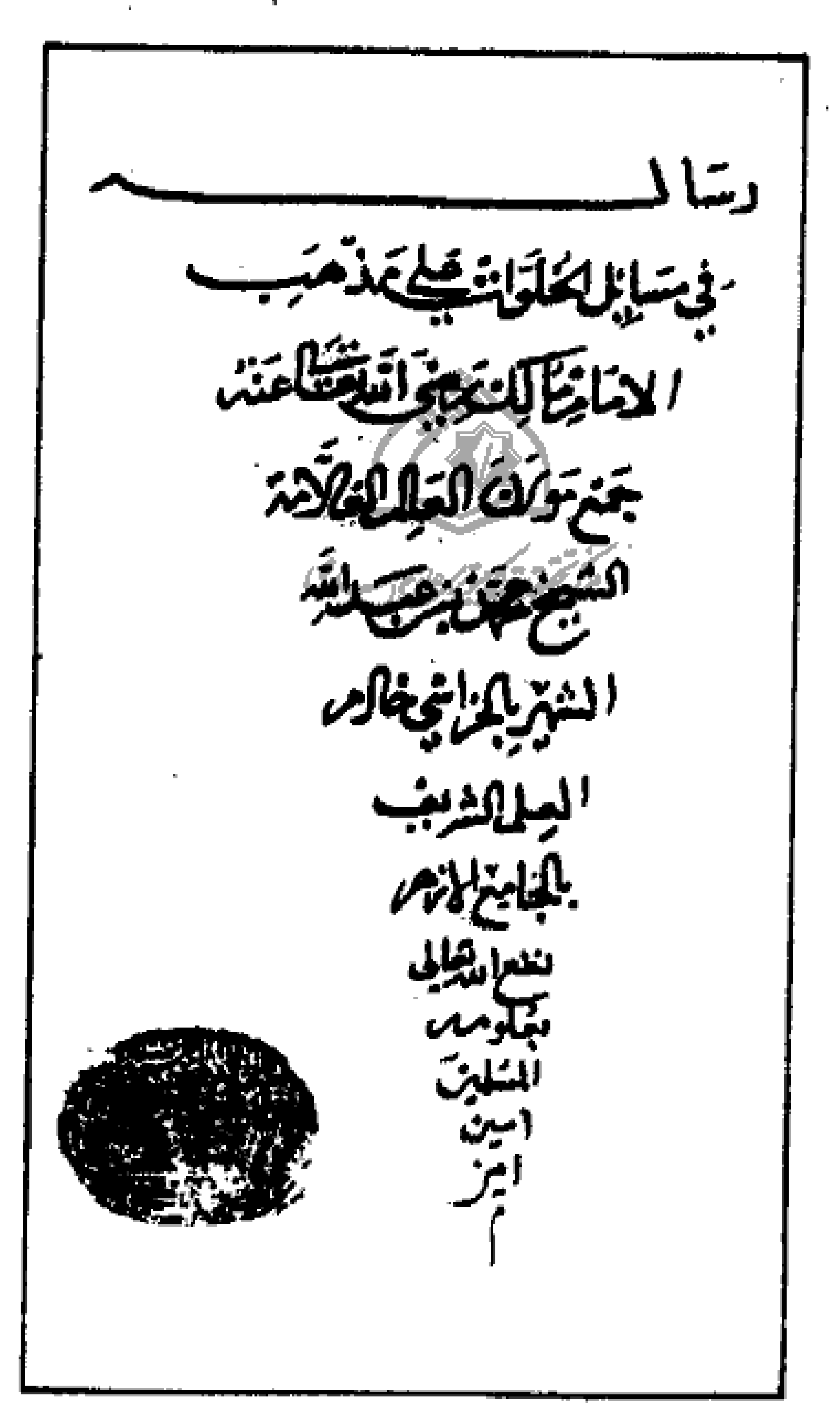
وصف النسخة الخطية

هـذه النسخة محفوظـة في المكتبة الأحمدية ـ حلب تحت رقم ١/٦٧٧ فقه .

نسخة ضمن مجموعة كتبت بالقلم النسخي ، خطها واضح

أوراقها : ٤ ق .

قياسها : ٢٤ × ١٦ سم .



رسالة
في مسائل الخلوات على مذهب
الامام مالك رضي الله تعالى عنه
جمع مولانا العالم العلامة
الشيخ محمد بن عبد الله
الشهير بالخراشي خادم
العلم الشريف
بالجامع الازهر
نفع الله تعالى
بعلومه
المسلمين
امين
امين

صـورة غـلاف النسخـة الخطيـة المحفـوظـة في المكتبـة الأحمـديـة/حلب تحت رقم ١/٦٧٧ . فقه .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين

وبعد فيقول العبد الفقير إلى مولاه

الغني محمد بن عبد الله الشهير بالخراشي المالكي

خادم العلم الشريف بالجامع الأزهر نفعنا

الله تعالى بأهله وأعاننا بفضله في المحشر

حمداً لمن أبدع في صفحات الفضائل قواطع

الدلائل والبرهان وشكراً لمن أنبع من ثمرات

المسائل طوالع الفضائل والعرفان فلا تزال

الألسن بذلك لهجة والأحكام بالعمل به

مشرقة بهجة وصلاة وسلاماً على سيدنا

نبينا المبعوث رحمة للعالمين والقائل

من

الاستحضار لقواعد مذهبه وقواعد الاجماع
وانه يجوز لمن حفظ روايات المذهب وعلم
مطلقها ومقيدها وعامها وخاصها وعلم
اصول الفقه وكتاب القياس واحكامه
وترجيحاته وموانعه وشرائطه ان يفتي
بما يخرجه على ما هو محفوظ له منها والشيخ
الامام شيخ مشايخ عصره الشيخ الناصر اللقاني
المذكور من انصف بالصفة التي يسوغ لمن
تلبس بها جواز الافتا فيما لم يكن فيه نص
بالتخريج على المنصوص على ما بلغنا من ثقات الشيوخ
واشتهر ذلك اشتهارا لا اخفاء معه وقد اطبق
من وجد بعده من العلما فيما اعلم على اعتماد
فيما يفتي به مما لم يوجد فيه نص في المذهب
وان لم يظهر لهم المدرك والله سبحانه وتعالى
اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

تمت

رسالة

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ، وبعد :

فيقول العبد الفقير إلى مولاه الغني محمد بن عبد الله الشهير بالخراشي المالكي خادم العلم الشريف بالجامع الأزهر نفعنا الله تعالى بأهله ، وأعاننا بفضله في المحشر : حمداً لمن أبدع في صفحات الفضائل قواطع الدلائل والبرهان ، وشكراً من أنبع من ثمرات المسائل طوالع الفضائل والعِرفان فلا تزال الألسن بذلك لَهِجة[1] ، والأحكام بالعمل به مُشرقة بهجة[2] . وصلاةً وسلاماً على سيدنا محمد المبعوث رحمةً للعالمين والقائل : « من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين »[3] الذي تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه حتى أضاءت على النيرين ، وارتفع ذكر من اعتنى بها إفادة واستفادة في الدارين وعلى آله الذين جعلهم الله من بعده مصابيح العيان ، ووارثيه وصحبه الذين هم كالنجوم[4] يهتدى بأيهم إلى الإسلام والإيمان ما توالت نفحات التحقيق على قلوب أهل العِرفان وتسامت[5] نسمات التدقيق على أفلاك دائرة الإنسان .

أما بعد فإن العلم من أجل الإلهامات الإلهية ، وأعز الامدادات الربانية

---

(١) لهج به كفرح : أغريَ به فثابر عليه . أنظر ترتيب القاموس ٤/ ١٧٥ .

(٢) البهجة : الحُسْنُ . أنظر ترتيب القاموس ١/ ٣٣٠ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه كتاب العلم : باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، ومسلم في صحيحه كتاب الإمارة : باب قوله لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ، والترمذي في السنن أول أبواب العلم .

(٤) ذكر الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير ٤/ ١٩٠ : بعد ذكر « أصحابي كالنجوم ، بأيهم اقتديتم اهتديتم » قال : عبد بن حميد في مسنده من طريق حمزة النصيبي عن نافع ، عن ابن عمر ، وحمزة ضعيف جداً .

(٥) (سَمَا) سُمُوّاً : ارتفع . أنظر ترتيب القاموس ٢/ ٦٢٢ .

التي ترد من حضراتِ القدس بلوائحِ الانسِ على من أراد الله تعالى به وله العناية ، وأولاه الهداية والرِّعاية فكان لفيض فضل ذلك محلّاً ، وتحلّى بسَوَابغ[1] تلك النعم مَحلاً سيما الأحكام الشرعية التي قد منَّ الله تعالى بها على المسلمين ، وأظهرها على يد نبيه ﷺ فكان نشرها مطلوباً ، والعمل بها مرغوباً ، والبحث عنها جهاراً ، ومذاكرتها تسبيحاً ، وبذلها لأهلها صدقة وترجيحاً ، هذا وقد طلب مني من لا يسعني مخالفته من أعز الأصحاب وفقني الله تعالى وإياهم إلى طاعته عن تحقيق مسئلة الخلوّات المعمول بها عند السادة المالكية ما حقيقته وما شروطه وما فائدته فأجبته إلى مطلوبه ، وبادرت إلى جمع ما قاله الأئمة الفحول ، وعمل به في مسئلة الخلو أهل المعقول والمنقول ورتبته على مقدمة وفصل وخاتمة .

فالمقدمة : في بيان حقيقة الخلو .

والفصل : في شروط صحته .

والخاتمة : في بيان فائدته .

المقدمة

حقيقة الخلو أن يكون الوقف فيه أماكن آيلة إلى الخراب فيكريها[2] ناظر الوقف لمن يُعمرها ويكون ما صرفه خلوًّا له ويصير شريكاً للواقف بما زادته عمارته مثلاً لو كانت الأماكن تكرى بنصف كل يوم فصارت بعد العمارة تكرى بثلاثة أنصاف فيكون شريكاً بالثلث والثلثين وهكذا وإذا احتاج إلى عمارة يكون على الوقف الثلث وعليه الثلثان .

الفصل

وأما الفصل فيشترط في صحة الخلو أن يكون ما بذل من الدراهم

(١) أسبغ الله النعمة : أتمها . أنظر ترتيب القاموس ٢/٥١٤ .

(٢) أي يؤجرها .

راجعاً إلى جهة الوقف فما يأخذه الناظر من الخلوات ونحوه لا يكون خلواً لمعطيه ، وأن لا يكون للوقف ريع يُعمر منه ، وأن يثبت ذلك الصرف في الوجه الشرعي فلا يعتبر تصديق الناظر للمعمر من غير ظهور عمارة وثبوتها .

الخاتمة

وأما الخاتمة ففائدة الخلو أنه يكون لورثه مَن له الخلو إذا مات أو لبيت المال إن لم يخلف وارث ، وإذا مات مَن له الخلو وعليه دين ولم يخلف ما يفي بدينه فإنه يوفى من خلوه بأن يُباع .

واعلم أن الخلوات ليس فيها نص وإنما هي فتوى للعلامة الناصر اللقاني [1] حيث أجاب حين سُئل عن خلو الحوانيت التي صارت عُرفاً بين الناس في هذه البلدة وغيرها ووزنت الناس في ذلك مالاً كثيراً حتى وصل الحانوت في بعض الأسواق أربعمائة ديناراً ذهباً جديداً فهل إذا مات شخص وله وارث شرعي يستحق خلو حانوت مورثه عملاً بعُرف ما عليه الناس أم لا ؟ وهل إذا ماتَ مَن لا وارث له يستحق ذلك بيت المال أم لا ؟ وهل إذا مات وعليه دين ولم يخلف ما يفي بدينه فهل يوفي بذلك من خلو حانوته أم لا ؟ بقوله :

نَعَم إذا مات شخص وله وارث شرعي يستحق خلو حانوت مورثه عملاً بعرف ما عليه الناس ، وإذا مات من لا وارث له يستحق ذلك بيت المال ، وإذا مات شخص وعليه دين ولم يخلف ما يفي بدينه فإنه يُوفي بذلك من خلو حانوته والله تعالى أعلم بالصواب انتهى .

وذكر بعضهم أن فتوى الناصر اللقاني معمول بها يؤخذ من مسائل

---

(1) هو محمد اللقاني المالكي (أبو عبد الله) المتوفى سنة ٩٥٨ هـ . أنظر معجم المؤلفين ١١/١٦٧ .

لأهل المذهب بما يَعلم بالوقوف عليها لا سيما وقد وافقه على ذلك من هو مقدم عليه في الفقه وهو أخوه الشيخ محمد اللقاني ، وإذا لم تر الهلال فَسَلِّم لأناس رأوْه بالأبصار .

وقد نص الشهاب القرافي[1] : أنه يجوز للمفتي إذا لم يجد نصاً في النازلة أن يخرجها على المنصوص إذا كان شديد الاستحضار لقواعد مذهبه وقواعد الإجماع ، وأنه يجوز لمن حَفظ روايات المذهب ويُحكم مطلقها ومقيدها وعامها وخاصها ، وعَلِمَ أصول الفقه وكتاب القياس وأحكامه ، وترجيحاته وموانعه وشرائطه ، أن يفتي بما يخرجُهُ على ما هو محفوظ له منها .

والشيخ الإمام شيخ مشايخ عصرهِ الشيخ الناصر اللقاني المذكور ممن اتصف بالصفة التي يَسُوغ لمن تلبس بها جواز الافتاء فيما لم يكن فيه نص بالمخرج على المنصوص على ما بلغنا من ثقات الشيوخ واشتهر ذلك اشتهاراً لا خفاءَ معه ، وقد أطبق من وجد بعده من العلماء فيما أعلم على متابعته فيما يفتي به ممن لم يوجد فيه نص في المذهب وإن لم يظهر لهم المدرك والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب .

---

(١) هو أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن البهنسي المشهور بالقرافي (شهاب الدين) ولد سنة ٦٢٦ هـ بمصر ، وتوفي سنة ٦٨٤ هـ . أنظر معجم المؤلفين ١ /١٥٨ .